﴿ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٨﴾ [الأنفال: 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

المناسبة بين نَصْرِ الله لعباده المؤمنين، وإضعافِ كيدِ الكافرين

لَمّا ذكرَ اللّهُ تعالى في الآيةِ السّابقةِ للمؤمنين أنَّكم لستُم الَّذين قَتَلتُم المشركين بقوَّتِكم في يوم بدرٍ، ولكنَّ الَّذي قتلَهم هو اللّهُ، وهو الَّذي أوصلَ أثرَ التُّرابِ إلى وجوه المشركين، فقُتِلوا، وهُزِموا؛ جاءت هذه الآيةُ الكريمةُ لبيانِ أنَّ ما تقدَّم إنَّما هو بأمرِ اللّهِ ﷻ فهو سبحانه الَّذي أوهَنَ كَيْدَ عدوِّهم، وأبْطَلَ مكرَهم، وأخْمَدَ قوَّتَهُم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُوهِنُ﴾: الوَهْنُ: ضَعْفٌ من حيثُ الخَلْقُ، أو الخُلُقُ، قالَ تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: 14]، أي: زادَها ضعفًا على ضَعْفٍ، ومنه قولُه تعالى هنا: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2]، أي: مُضعِفُ كيدِ الكافرين[3].

2) ﴿كَيۡدِ﴾: الكافُ والياءُ والدّالُ: أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معالجةٍ لشيءٍ بشِدَّةٍ، ثمَّ يتَّسعُ البابُ، وكلُّه راجعٌ إلى هذا الأصلِ، والكَيْدُ: ضربٌ من الاحتيالِ قد يكونُ مذمومًا وممدوحًا، وإن كان يُستعملُ في المذموم أكثرَ، ويُطلق على المعالجةِ، قالوا: وكلُّ شيءٍ تعالجُه؛ فأنتَ تكيدُه، هذا هو الأصلُ في الباب، ثمَّ يسمّون المكْرَ كَيْدًا، قالَ اللّهُ تعالى: ﴿أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ﴾ [الطّور: 42]. ويقولون: هو يكيدُ بنَفْسِه، أي: يجودُ بها، كأنَّه يعالجُها لِتخْرُجَ.

ولِلْكَيْدِ إطلاقاتٌ كثيرةٌ، منها: أنْ يُخرِجَ الزَّنْدُ النّارَ ببُطءٍ وشدَّةٍ،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 468/15، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 245/8.
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 887، والفخر الرّازي، مختار الصّحاح: (وهن).
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 272/2.

والحَرْبُ، يُقالُ: خرَجوا، ولم يَلْقَوْا كَيْدًا، أي: حَرْبًا[1]، وقولُه تعالى هنا: ﴿مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: مُضعِفُ مَكْرِ الكافرين ومُبطِلُهُ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الإخبارُ بإضعافِ كيدِ الكافرين بشارةٌ للمؤمنينَ

هذهِ الآيةُ بشارةٌ أُخرَى ساقَها اللّهُ تعالى للمؤمنين معَ ما حَصَلَ من النَّصرِ المؤزَّرِ يومَ بدرٍ، أعْلَمَهم فيها ﷺ بأنَّه مُضعِفُ مَكْرِ الكافرين فيما يُسْتقبَلُ، ومُصَغِّرُ أمرِهم، وأنَّهم وكلَّ مالِهم في تَبارٍ ودَمار[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دَلالةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ في ﴿ذَٰلِكُمْ﴾:

البشارةُ بإضعافِ مكرِ الكافرين

الإشارةُ في ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إلى ما تقدَّمَ في الآيةِ السّابقةِ من قَتْلِ اللّهِ للكافرين، ورَمْيِه إيّاهم، والبلاءِ الحَسَن[4]، وفي اسْمِ الإشارةِ هنا تأكيدٌ لما تقدَّمَ من الأمورِ الثَّلاثةِ، وأنَّها علَّةٌ للتَّوهين، وفيه كذلك تنبيهٌ على أهمّيَّةِ ما يَرِدُ بعدَه، وهو البِشارةُ للمؤمنينَ بتوهينِ مكرِ الكافرين وإبطالِه. وفيه إشارةٌ إلى عَظَمةِ الأفعالِ الَّتي ذَكَرها اللّهُ فيما سبق من آياتٍ، وذلك بالامتنانِ على المؤمنين بما فعلهُ اللّهُ تعالى لهم من كسرِ شوكةِ المسلمين وإضعافِ عزيمتِهم.

دلالة التَّنوُّعِ الإعرابيّ للفظ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾:

ثراءُ المعنى للدِّلالةِ على تحقُّقِ ما تقدَّم

وقعتِ الجملةُ ممّا سبقَ موقعَ التَّعليلِ، لما ذكر في الآية السّابقةِ وما قبلَها من الأحداثِ، وقد أثْرى هذا التَّعليلُ تنوُّعَ إعرابِ اسمِ الإشارة، ومع كلِّ إعرابٍ معنًى، وكلُّها معانٍ متعانقةٌ، ومن هذه الوجوهِ:

الأوَّلُ: خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، تقديرُه: الأمرُ ذلكم، أو: حَتْمٌ وسابقٌ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: 149/5، وابن منظور، اللّسان: (كيد).
(2) ابن عطيَّة، المحرَّرُ الوجيز: 512/2، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 272/2.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 272/2.
(4) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 512/2، وأبو حيّان، البحر المحيط: 297/5، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 245/8.

وثابتٌ ذلكم[1]، وكونُه خبرًا لمبتدأٍ محذوفٍ رابطٌ وثيقٌ للمعنى بالأحداث السّابقة المذكورةِ في السّورة.

الثّاني: مبتدأ، والخبرُ محذوفٌ، والتَّقديرُ: ذلكمُ الأمرُ، وكونهُ مبتدأً يجعلُ الخبرَ محذوفًا، وتذهبُ النَّفسُ في تقديرِه كلَّ مذهبٍ، ذلكم الأمرُ، ذلكمُ النَّصرُ، ذلكم التَّأييدُ، وكلُّ ذلك لا يُمتنع.

الثّالثُ: في موضعِ نَصْبٍ، تقديرُه: فعَلْنا ذلكم[2]، وكونُه بقيَّةَ جملةٍ فعليَّةٍ محذوفةٍ، والمذكورُ مفعولُها فيه توفيرٌ للعنايةِ على ما وقعَ.

وسرُّ التَّعبيرِ بضميرِ الخطابِ للجمعِ التَّوجُّهُ للجميعِ بإعلانِ ذلك النَّصرِ والفوزِ والظَّفرِ على المشركينَ.

دَلالةُ العَطْفِ بالواوِ في الآية:

لَمّا كانَ خبرُ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ محذوفًا، وتقديرُه: ذلكمُ الأمرُ، عُطِفَتْ عليه جملةُ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، أي: ذلكم الأمرُ وأنَّ اللّه، أي: المقصَدُ إيلاءُ المؤمنين، وتوهينُ كيدِ الكافرين، وإبطالُ حيَلِهم، وكأنَّ المعنى: ذلكم مرادُ اللّهِ نصرُ المؤمنين وتوهينُ الكافرين، وكأنَّ توهينَهم مِنَّةٌ أخرى غيرُ النَّصرِ؛ لأنَّهُ لا يلزم من كلِّ نصرٍ توهينُ الأعداءِ، فالجمعُ يقتضي المغايرةَ، فهما عطاءان إلهيّان للمؤمنين، ففي هذا العطفِ بشارةٌ فوقَ بُشرى النَّصر ببُشرى إضعافِ شأنِ المشركين وتوهينِ كيدِهم[3]، ويمكنُ أنْ يكونَ ﴿وَأَنَّ ٱللَّـهَ﴾ من قبيلِ عَطْفِ البيانِ على ما تقدَّم من القتْلِ والرَّمي، والمبتدأُ هنا الأمرُ، أي: الأمرُ ذلكم[4].

النَّصرُ والتَّوهينُ عطاءان للمؤمنين

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 297/9.

(2) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 512/2، والنَّسَفي، مدارك التنزيل: 637/1، وأبو حيّان، البحر المحيط: 297/5.

(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3088/6.

(4) الزَّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 407/2، والزَّمخشري، الكشّاف: 150/2، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 478/2.

سرُّ التَّعبيرِ بالإظهارِ ﴿ٱللَّهَ﴾، دونَ الإضمارِ:

غرض إيراد لفظ الجلالة، إلقاءُ الرُّعب في قلوبِ الكَفَرة، وتربيةُ المهابةِ عند البَرَرة

آثرَ التَّعبيرَ بلفظ الجلالةِ مُظْهَرًا دونَ أن يقولَ: (وأنَّه موهنُ كيدِ الكافرين)، مُضمَرًا لإلقاءِ الرُّعب والخوف في قلوبِ المشركين، ولأنَّ توهينَ كيدِ الكافرين يناسبُهُ صفاتُ الجلالِ والعِزَّة والقهرِ، ولا يتأتَّى ذلك إلّا مِنَ التَّصريح باسمِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهَ﴾.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالجملةِ الاسميَّة:

ثباتُ توهينِ كَيْدِ الكافرين وتأكيدُهُ

جاءتِ الجملةُ الاسميَّةُ في قولِه تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ بيانًا لثباتِ (ذلكمُ الأمرُ) فهو سنَّةٌ إلهيَّةٌ عظيمةُ الشَّأنِ أراكُموها بأعيُنِكم من قتلِ أعدائِكم وهزيمتِهم وتوهينِ كيدِهم وإبطالِ مكرِهم، فما عليكم إلّا التزامُ طاعتِه وطاعةِ رسولِه ﷺ، ولا تنظروا في عاقبةِ شيءٍ ممّا يأمُرُ به ﷺ، فإنَّه ما ينطقُ عنِ الهَوى؛ بل إنَّما هو وحْيٌ نوحيه إليه، ونحن لا نأمرُ بشيءٍ إلّا بعدَ تدبيرِه على أحْكمِ الوجوهِ وأتقنِها[1].

أثَرُ القراءاتِ القرآنيَّةِ في ﴿مُوهِنُ﴾:

توهينُ كيدِ الكافرين في الحالِ والاستقبالِ

في قولِه تعالى: ﴿مُوهِنُ كَيْدِ﴾ ثلاثُ قراءات[2]:

الأولى: ﴿مُوَهِّنُ كَيْدَ﴾ بفتح الواوِ وبتشديدِ الهاءِ وبالتَّنوينِ في ﴿مُوَهِّنُ﴾ ونَصبِ ﴿كَيْدَ﴾.

والثّانيةُ: ﴿مُوهِنُ﴾ بتسكينِ الواوِ وتخفيفِ الهاء وبالتنوين ونَصبِ ﴿كَيْدَ﴾.

والثّالثةُ: ﴿مُوهِنُ كَيْدِ﴾ بإضافةِ ﴿مُوهِنُ﴾ إلى ﴿كَيْدِ﴾.

وفي القراءتين الأوّليَيْن يكونُ المعنَى: أنَّ اللّه سيوهنُ كيدَ الكافرين، وفي القراءةِ الثّالثة تكونُ الإضافةُ في ﴿مُوهِنُ كَيْدِ﴾

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 245/8.

(2) الأولى: قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وأبي جعفر، والثّانية: قراءة ابنِ عامر، وحمزة، والكسائي، وأبي بكر عن عاصم، وخَلَف، ويعقوب، والثّالثة: قراءة حفصٍ عن عاصم، ينظر: ابن الجزَري، النَّشر: 207/2، والقاضي، البدور الزّاهرة، ص: 129.

لتحقيقِ إضعافِ كيدِ الكافرينَ وإبطالِه باستمرارٍ، والمعنى: أنَّ اللهَ موهِنُ كيدِ الكافرينَ في هذا الحالِ الَّذي هم عليهِ في يومِ بَدْر، وفي المستقبلِ كذلكِ[1].

سرُّ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ ﴿مُوهِنُ﴾ دونَ الفعلِ:

دوامُ توهينِ كيدِ الكافرين، مِن وعيد الله لكلّ كافر مَهين

آثرَ التَّعبيرَ باسم الفاعل ﴿مُوهِنُ﴾؛ لأنَّهُ يدلُّ على الحالِ والاستقبالِ، وهذا ما أرادهُ اللهُ ﷻ جبرًا لخاطرِ هؤلاءِ المستضعفين من المؤمنينَ من قِبَلِ صناديدِ الكفرِ؛ لأنَّ قواهم قد وهنتْ في بدرٍ، وفيما يأتي بعد بدرٍ؛ فلا مجالَ بعدَ اليومِ للغطرسةِ والاستعلاءِ من مشركي مكَّةَ على المؤمنين، بخلافِ هذا الفعلِ، فلا يؤدّي هذا المعنى؛ لأنَّ الفعلَ يفيدُ التَّجدُّدَ والحدوثَ، والمرادُ هنا إنهاءُ عهدِ الظُّلمِ والاستهانةِ بالمسلمين من المشركين، وذلك بتوهينِ قواهم الجسديَّةِ والنَّفسيَّةِ، ففي التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ كمالٌ للبشارةِ.

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، دونَ (الَّذين كفروا):

بيان درجة الغطرسة في النّكران، عند أهل الكُفران

آثرَ التَّعبيرَ بالكافرين دونَ الَّذين كفروا؛ للإشارةِ إلى بلوغِهم الغايةَ في كفرِهم الَّذي استحقّوا به قَتْلَهم وأسْرَهم في غزوةِ بدرٍ، وتوهينِ كيدِهم بسببِ عنادِهم وغطرَستِهم. وفيه إشارةٌ إلى رسوخِ الكفرِ في قلوبِهم؛ حتَّى فقدوا الاستعدادَ للإيمان، بخلافِ الَّذين كفروا، فليسوا على هذهِ الدَّرجةِ من الغطرسةِ، بدليلِ إسلامِ بعضِهم؛ لأنَّ التَّعبيرَ بالاسم مجرَّدٌ عن الزَّمانِ، ودالٌّ على التصاقِ الصِّفةِ باستمرارٍ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الكَيْد والمكْر:

الكَيدُ أقْوى مِنَ المكرِ، وهو إيقاعٌ للمكروهِ بالآخرِ قَهْرًا، ولا

(1) محمَّد سالم، الهادي شرح طيبة النَّشر: 265/2.

يُشترَطُ فيهِ القوَّةُ، وكلُّ ذلكَ كانَ بالمشركين، فأوهنَهُ اللّهُ، وأبْطلَهُ بقوَّتِه وقدرتِه.

الـكَـيـدُ: إيـقـاعُ المـكـروهِ بـالآخـرِ قَهْرًا، وهو أقوى مِـنَ المكر، والمكرُ يـكـونُ مـع تـدبُّـرٍ وفِكْرٍ

أمّا المكرُ؛ فلا يكونُ إلّا مع تدبُّرٍ وفِكْرٍ، وإن اشتركا في ذلك، إلّا أنَّ الكَيْدَ أقْوَى مِنَ المكرِ، والشّاهدُ: أنَّه يتعدَّى بنفسِه، والمكرُ يتعدَّى بحرفٍ، فيُقالُ: كادَهُ يَكيدُهُ، ومَكَرَ بهِ، ولا يُقال: مَكرَهُ، والَّذي يتعدَّى بنَفْسِه أقْوى.

والكيْدُ اسْمٌ لإيقاعِ المكروهِ بالآخرِ قَهْرًا، سواءٌ عَلِمَ أم لا، ومنه يُقالُ: فلانٌ يكيدُ لنَفْسِه، أي: يُقاسي المشقَّةَ[1]. وقد آثرَ التَّعبيرَ بالكيدِ؛ لأنَّهُ غلبَ استعمالُهُ في الاحتيالِ على تحصيلِ ما لو اطَّلع عليه المكيدُ؛ لاحترزَ منهُ، فهو احتيالٌ فيه مَضرَّةٌ ما على المفعول بهِ، وهذا ما قصدهُ الكافرونَ في الإضرارِ بالمسلمين، ذلك أنَّ جيشَ المشركين الَّذين جاؤوا؛ لإنقاذِ العيرِ مِن أيدي المسلمين، ولمّا علموا بنجاةِ عيرِهم الذين خرجوا من أجلِها أبَوا أن يرجعوا إلى مكَّةَ، وأقاموا في بدرٍ، فنحروا الجَزورَ، وشربوا الخمرَ، وضربوا الدُّفوفَ، إلى غيرِ ذلك ممّا فعلوا، وليس ذلك لمجرَّدِ اللّهو، بل ليتسامعَ العربُ، فيتساءلوا عن سبب ذلك، فيُخبروا بأنَّهم غلبوا المسلمين، فيصرفَهم ذلك عنِ اتِّباعِ الإسلامِ، فأرادَ اللّهُ توهينَ كيدِهم بتلكَ الهزيمةِ الشَّنعاءِ[2].

الوهن والضَّعف:

الضَّـعـفُ خـلافُ الـقـوَّةِ، وهـو نقصٌ في القوَّةِ البدنيَّةِ، يترتَّب عـلـيـهِ عـجـزٌ في القدرةِ الحسيَّةِ

آثرَ التَّعبيرَ بالوهنِ دونَ الضَّعفِ، لوجودِ فرْقٍ بينَهما، فالضَّعفُ خلافُ القوَّةِ، ويكون في البدنِ، وفي النَّفس، وفي الحال؛ بخلاف الوهنِ فهو ضعفٌ على ضعفٍ يؤدّي إلى فتورٍ في القوَّةِ النَّفسيَّةِ، وضعفٍ في الإرادةِ والعزيمةِ.

(1) العسكريّ، الفروق، ص: 508، والحسيني، الكلّيّات: 125/4، 182، وابن منظور، اللّسان: (كيد) و(مكر).

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 297/9.

وأمّا الضَّعفُ؛ فهو نقصٌ في القوَّةِ البدنيَّةِ يترتَّب عليهِ عجزٌ في القدرةِ الحسيَّةِ، يؤكِّد ذلك قولهُ تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ الآية، وعلى هذا يفترقُ الوهنُ عن الضَّعفِ في أنَّ الضَّعفَ يتعلَّقُ بالخللِ والنَّقصِ في القوَّةِ البدنيَّةِ، أمّا الوهنُ؛ فمتعلِّقٌ بضعفِ القلبِ والعزيمةِ، ولذلك كان هو المناسبُ هنا؛ لأنَّ كفّارَ مكَّةَ كانوا أصحابَ قوَّةٍ وسطوةٍ وسلطانٍ على القبائلِ العربيَّة، وكانوا يستطيلون، ويفخرونَ بكلِّ ذلك على أهلِ الإيمانِ، فلمّا نصَرَ اللّهُ المؤمنينَ مع قلَّةِ عددهم وعتادِهم على المشركين؛ وهنوا في أنفسِهم، ولمّا وهنوا في أنفسِهم؛ وهنَ كيدُهم للمسلمين، وبذلك انتهى عهدُ استضعافِ المسلمين، وكُسِرَت شوكةُ مشركي مكَّةَ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»